المجال الخامس عشر
القُرْب

ورد النهي في هذا المجال في سياق واحد لآدم وحواء عن القرب من شجرة معينة موجودة في الجنة، في قوله جل شأنه: ﴿ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣٥).

يقول الراغب في المفردات: "الْقُرْبُ والبعد يتقابلان. يقال: قَرُبْتُ منه أَقْرُبُ «٣»، وقَرَّبْتُهُ أُقَرِّبُهُ قُرْباً وقُرْبَاناً، ويستعمل ذلك في المكان، وفي الزمان، وفي النّسبة، وفي الحظوة، والرّعاية، والقدرة. فمن الأوّل نحو: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ (البقرة: ٣٥) ... وفي الزّمان نحو: اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسابُهُمْ... وفي النّسبة نحو: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ ﴾(النساء: ٨).

وفي الحظوة نحو: ﴿ ...وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ... ﴾ (آل عمران: ٤٥) وفي الرّعاية نحو:﴿ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف: ٥٦)... وفي القدرة نحو:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾(ق: ١٦). قوله:﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ ﴾(الواقعة: ٨٥)، يحتمل أن يكون من حيث القدرة[١]".

وقيل: "القرب: ضد البعد والقيام بالطاعة. وفي الاصطلاح قرب العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه والسعادة لمن كان أقرب إلى الله تعالى وإلا فالقرب عام فإنه تعالى قريب إلى كل عبد شقي أو سعيد حيث قال: وهو معكم أينما كنتم[٢]".

وقال العسكري: "الفرق بين الدنو والقرب: أن الدنو لا يكون إلا في المسافة بين شيئين تقول: داره دانية ومزاره دان، والقرب عام في ذلك وفي غيره، تقول: قلوبنا تتقارب، ولا تقول تتدانى، وتقول: هو قريب بقلبه، ولا يقال: دان بقلبه إلا على بعد[٣]"، وقيل: "القُرْبُ: الاتصاف بدوام الأوقات بمرايضته، وقيل: هو أن يتدلل على المحبوب[٤]"، أما الشجرة فورد في تعريفها: "الشَّجَرُ من النّبات: ما له ساق...[٥]".

---

(١) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ١ / ٦٦٣ وما بعدها
(٢) دستور العلماء، عبد رب النبي نكري، ٣ / ٤٨
(٣) الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، ١ / ٢٣٦
(٤) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، السيوطي، ١ / ٢١٤
(٥) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ١ / ٤٤٦

في هذا السياق الكريم "نهى الله سبحانه وتعالى آدم عن أن يقرب شجرة من أشجار تلك الجنة التي أسكنه فيها، وأباح له الأكل رغدا من ثمارها. وهذه الشجرة لم يعرض القرآن لبيان نوعها، ولهذا فهى. في محيط القرآن. غير معروفة النوع ولا الصفة، وإن كانت معروفة لآدم، حيث أشار إليها الحق سبحانه وتعالى، إشارة كاشفة، حين نهاه وزوجه عنها، بقوله سبحانه: «وَلا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَةَ».

وقد وصف إبليس هذه الشجرة لآدم وحواء، وصفا كاشفا لها، وللمعطيات التي ضمّت عليها، وفى هذا يقول الله تعالى: ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ (١٢٠: طه) ويقول سبحانه: ﴿ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ (٢٠ : الأعراف).

وهذه الأوصاف التي خلعها إبليس على تلك الشجرة لا تلتقى مع الواقع، ولا تحدّث عن الحق، وإنما هى من تلفيقات إبليس وأكاذيبه، ليخدع بها ويغرى. ومع ذلك فإن المفسّرين والقصاص، قد ذهبوا فى الحديث عن الشجرة ونوعها كل مذهب، مستندين فى هذا إلى بعض الروايات المعزوّة إلى بعض الصحابة والتابعين، لتكتسب شيئا من الاحترام والقبول، وهى فى حقيقتها إسرائيليات، وأساطير، وخرافات[1]".

وقد أورد الطبري أقوالا في نوع الشجرة المذكورة في السياق الكريم; فقال: "اختلف أهل التأويل في عين الشجرة التي نُهي عن أكل ثمرها آدم، فقال بعضهم: هي السُّنبلة... وقال آخرون: هي الكرمة... وقال آخرون: هي التِّينة[2]"، ثم عقَّب بعد ذلك بقوله: "فالصواب في ذلك أن يقال: إن الله جل ثناؤه نهى آدمَ وزوجته عن أكل شجرة بعينها من أشجار الجنة دون سائر أشجارها، فخالفا إلى ما نهاهما الله عنه، فأكلا منها كما وصفهما الله جل ثناؤه به. ولا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يَضَع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة فأنَّى يأتي ذلك؟ وقد قيل: كانت شجرة البر، وقيل: كانت شجرة العنب، وقيل:

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، د. عبد الكريم الخطيب، ١ / ٧٠

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١ / ٥١٦ وما بعدها

كانت شجرة التين، وجائز أن تكون واحدة منها، وذلك عِلمٌ، إذا عُلم لم ينفع العالمَ به علمه، وإن جهله جاهل لم يضرَّه جهلُه به[1]".

وقال صاحب الظلال في هذا السياق: "لقد أبيحت لهما كل ثمار الجنة.. إلا شجرة.. شجرة واحدة، ربما كانت ترمز للمحظور الذي لا بد منه في حياة الأرض. فبغير محظور لا تنبت الإرادة، ولا يتميز الإنسان المريد من الحيوان المسوق، ولا يمتحن صبر الإنسان على الوفاء بالعهد والتقيد بالشرط. فالإرادة هي مفرق الطريق. والذين يستمتعون بلا إرادة هم من عالم البهيمة، ولو بدوا في شكل الآدميين[2]".

إن النهي في الآية المباركة اختبار للخليفة آدم في جنة الاختبار قبل إنزاله إلى الأرض وتحمله لأمانة التكليف والعبادة إعدادا له وتدريبا ليعرف ويتذوق حلاوة الطاعة ومرارة المعصية، ويعرف أن في الطاعة الهناء والسعادة، وفي المعصية فراق الجنة; حيث الشقاء.

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: آدم – زوجك – الجنة – تقربا – الشجرة – كلا – رغدا – شئتما – لا.

---

(١) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، ١ / ٥٢٠ وما بعدها

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب، ١ / ٥٨